



## الافتتاحية

رئيسة التحرير: أ. د. دلال عباس

هذا هو العدد السابع بعد المئة من مجلة «الدراسات الأدبية» في دورتها الثالثة بعد عودتها إلى الساحة الثقافية في العام ٢٠٢١ مرجعاً أدبياً وفكرياً للباحثين المعنيين بدراسة التأثير والتأثير المتبادلين بين اللغة الفارسية وآدابها واللغة العربية وآدابها، من خلال دراسات تتناول التفاعل بين الثقافتين العربية والفارسية وبينهما وبين الآداب العالمية.... ولأنّ المجلة كانت تنشر في دورتها الأولى، في كلِّ عددٍ من الأعداد تعريفاً لمدينةٍ أو بلدةٍ كان لعلمائها وأدبائها دورٌ في تلاقح الثقافتين؛ نشرنا في الدورة الثالثة هذه، في العدد السادس بعد المئة مقالةً مختصرةً عن مدينة شيراز؛ وفي هذا العدد نشر بحثاً عن مدينة بغداد؛ كئنا منذ سنوات قد ترجمناه لدائرة معارف العالم الإسلاميّ؛ ومنتظر من الباحثين المهتمّين تقديم تعريفٍ بحاضرةٍ من الحواضر التي يشهد تاريخها على التفاعل الثقافي بين العرب والإيرانيين...

أمّا لماذا اخترنا هذه المرّة أمّ المدائن بغداد لتكون نجمةً المدين في هذا العدد، فلأنّها أنست العالم أسماء المدين التي كانت مراكز الحضارات السابقة، حين صارت عاصمة الخلافة الإسلاميّة في العصر العبّاسي، ولم يكن لها منافس، فمنها ومن علمائها ومحدثيها وفقهائها وفلاسفتها شعت العلوم بكلِّ ألوانها وباللغة العربيّة على العالم أجمع مرّةً بالأندلس...

ولا بدّ من التذكير بالدور الذي أدّاه العلماء الإيرانيون في العصور العباسية وما تلاها، انطلاقاً من بغداد، في مختلف العلوم: الحديث، الفقه، القراءة والتفسير، وفي الفنون والآداب: أي النحو والصرف واللغة والبلاغة والشعر والتاريخ، وفي الفلسفة وعلم الفلك والرياضيات والطب والصيدلة وغيرها، ورفدوا الحضارة الإسلامية - العربية اللّغة، بما جعلها في يوم من الأيام أمّ الحضارة الإنسانية قاطبةً، وهذا أنصَح دليل على هذا التعاون والتآخي والتلاقح بين العرب والإيرانيين... وإذا كانت حركة الفتوح الإسلامية في إيران جعلت العرب يختلطون بالدم الآري، ويستمعون إلى لغة تخالف لغتهم، وأفسحت مجالاً للاختلاط ما بين لغتها الأم ولغة القوم أي اللغة البهلوية إحدى أصول الأسرة الهندية - الأوروبية، فتبادلان الصّلات والتأثير والتأثر، وتنشأ من هذا الزواج بين اللغتين لغةٌ يُمكننا أن نسمّيها لغة التفاهم، يتكلّمها عامّة الناس، هي التي أصبحت بعدَ قرونٍ من الهجرة لغة إيران الرسمية، واضطرّ أهلها أن يكتبوها بالحروف العربية؛ فإنّ عملية الترجمة من الفارسية إلى العربية التي جرت في العصر العباسي في بغداد كانت الجسر الذي عبّرت من خلاله ثقافات الأمم المختلفة التي انصهرت في الدولة الإسلامية، وأغنّت الثقافة الإسلامية، وذلك لعناية الخلفاء من بني العباس ووزرائهم بعملية الترجمة، وما أبدوه من اهتمام بيّن بالحركة العلمية، وتشجيعهم العلماء والمترجمين، وكان من نتيجة ذلك أن تحوّلت ثقافات فارس والهند واليونان إلى ثقافة العرب المسلمين وزوّدتها بأزوادٍ وعناصرٍ لم يكن لها بها عهدٌ من قبل، وقد تمّ هذا التحوّل من طريقين: طريق تعرّب شعوب الشرق وانتقالهم إلى العربية حاملين إليها موروثاتهم وفنونهم ومعارفهم، وطريق النقل والترجمة...

ومن أوائل المترجمين على سبيل المثال لا الحصر ابن المقفّع الإيراني الأصل الذي ترجم منطق أرسطو الذي كان منقولاً من قبل إلى الفارسية، وكليّة ودمنة الذي كان منقولاً إلى الفارسية البهلوية عن الهندية (ترجمه سنة ١٣٣هـ/٧٤٩م)، كما ترجم عدداً آخر من الكتب، وألّف بالعربية عدداً من الكتب والرسائل، تبدو فيها عناصر الثقافة الفارسية... وهناك مترجمون معاصرون لابن المقفّع ذكرهم المؤرّخون، لا مجال

لذكرهم في هذه العجالة... وفي هذا السياق لا بد لنا من ذكر الدور الذي أدته مدرسة جنديسابور وعلمائها في تلك المرحلة التاريخية، وقد امتزجت في جنديسابور الثقافات المتنوعة من يونانية وسريانية وفارسية وهندية، واشتهرت بالفلسفة والفلك والطب... وكان الأطباء في هذه المدرسة يستخدمون في العصر العباسي اللغتين العربية والفارسية، كما يشهد على ذلك ما يرويهِ ابن أبي أصيبعة عن جورجوس رئيس أطباء جنديسابور عندما التقى بالخليفة المأمون وخطبه باللُّغة العربيَّة وباللُّغة الفارسيَّة..

أمَّا الترجمة من العربيَّة بالفارسيَّة فقد بدأت في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، في أثناء حكم السامانيين (٢٦١ - ٣٨٤ هـ) إحدى الحكومات التي استقلَّت عن العباسيين عمليًّا، وظلَّت محافظةً على سلطة الخليفة العباسي معنويًّا، وجعلت الفارسيَّة لغة الدولة الرسميَّة بدلًا من العربيَّة. وكان أول كتاب تُرجم من العربيَّة إلى الفارسيَّة الدرِّيَّة، أي لغة إيران الرسميَّة اليوم، هو كتاب **كليلة ودمنة**، كما أن كتب الفقه والفلسفة، وكتب الصيدلة والطب المكتوبة أساسًا بالعربيَّة تُرجمت إلى الفارسيَّة أيضًا ليفهمها عامَّة النَّاس...

لقد وظَّف الإيرانيون بعد إسلامهم طاقاتهم كلَّها لخدمة الإسلام والحضارة الإسلاميَّة، وبدأ ذلك حين تُرجمت الكتب الفارسيَّة الحكميَّة، والسياسيَّة، ووضعت في أيدي الحكَّام والكتَّاب والمؤلِّفين، وفي هذا السياق يقول المرحوم مطهري: «إنَّ إيران كانت لها قبل الإسلام حضارة، وأنَّ هذه الحضارة أصبحت أحد عناصر الحضارة والثقافة الإسلاميَّتين، وأنَّ هذه الحضارة التي كانت في طريقها إلى التقهقر وجدت في الإسلام روحًا جديدًا وحياءً أخرى بصورةً حيَّة نابضة».

ففي العلوم الدينيَّة يمكن أن نعدَّ الإيرانيين مؤسسي علم الحديث، والذين يعرفون كتب الحديث من الصَّحاح والمسانيد وأحوال الرجال ومشايخ الرواية، يعلمون أنَّ جميع أصحاب الصَّحاح الستَّة لأهل السنَّة: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو داود السجستاني، والترمذي، والبيهقي من خراسان، وابن ماجه من قزوين إيرانيون، وكذلك أصحاب

الكتب الحديثية الأربعة للشيعة الشيخ الطوسي من خراسان، والصدوق ابن بابويه من قم والشيخ محمد بن يعقوب الكليني من قرية كُلين من الرّي، ومئات من المشاهير غير هؤلاء إيرانيّون لا مجال لذكرهم هنا. واثنان من أئمة المذاهب الأربعة لدى أهل السنة إيرانيّان خراسانيّان هما: أبو حنيفة النعمان، [المتوفى سنة ١٥٠هـ] بن ثابت بن زوطي الكابلي (نسبة إلى كابل)، أو النسائيّ (نسبة إلى مدينة نسا)، وأحمد بن حنبل [المتوفى سنة ٢٤١هـ]، المولود بمرّو خراسان (إيرانيّ من أصل عربيّ)، وإن كان أحدهما قد نشأ في الكوفة والآخر في بغداد، يأتي بعد هؤلاء: الليث بن سعد الإصفهانيّ، فقيه مصر المتوفى سنة ١٧٥هـ وعبدالله بن المبارك المروزي نسبة إلى مرو خراسان توفى سنة ١٨١هـ ولا ننسى في القرن الهجريّ الأوّل من الإيرانيّين طاووس بن كيسان وربيعة الرّأي شيخ مالك بن أنس وأوّل من أسّس القياس والرّأي وإليه نُسب، إذ قيل ربيعة الرّأي، مات في العام ١٣٦هـ وسليمان بن مهران الأعمش، وفي القرون اللاحقة فقهاء إيرانيّون نذكر منهم: ابن السريج الشافعي، وأبا سعيد الإصطرخي وأبا إسحق المروزيّ في القرن الرابع وأبا حامد الإسفرائينيّ وأبا إسحق الإسفرائينيّ، وأبا إسحق الشيرازيّ، وإمام الحرمينّ الجوينيّ والإمام محمد الغزاليّ، وغيرهم... أمّا في القراءة والتفسير، فإنّ أوّل من ألف كتاباً في مجازات القرآن هو الفراء النحويّ المعروف الإيرانيّ. وإنّ أربعة من أئمة القراءة السبعة من الإيرانيّين هم: عاصم بن أبي النجود من الموالي العجم، ونافع بن عبد الرحمن الإصفهانيّ، وعبدالله بن كثير وهو من أبناء الفرس الذين كان أنو شروان قد بعثهم إلى اليمن لمساعدة سيف بن يزن في مواجهة الأحباش، وعلي بن حمزة الكسائيّ المعروف، ومن المفسّرين: مقاتل والأعمش والفراء والثلاثة إيرانيّون. وأمّا في الفنون والآداب: أي النحو والصرف واللغة والبلاغة والشعر والتاريخ فإنّ خدمات الإيرانيّين أوضح من أن نبيّنها، لقد خدموا العربيّة أكثر ممّا خدمها العربُ أنفسهم لأنّها لغة القرآن ولغة الإسلام ومنهم: يونس بن حبيب [المتوفى سنة ١٣٨هـ] يقول عنه ابن النديم: أعجميّ الأصل. وأبو عبيدة المعمر بن المثنى [المتوفى سنة ٢١٠هـ]، وسعدان بن المبارك من أهل طخارستان، وسيبويه [المتوفى

سنة ١٨٠هـ] وهو من شيراز وُلد في البيضاء ودرس في البصرة وسافر إلى بغداد، وعاد إلى فارس وتوفي في الأربعين من عمره، وُصِف كتابه في النحو المعروف باسم الكتاب بأنه أحسن الكتب في علم النحو، والأخفش الأوسط [تُوفي سنة ٢١٥ أو ٢٢١ هـ]، والكسائي القارئ، والفراء النحوي القارئ؛ وأبو علي الفارسي، وهو من أهل «فسا» من فارس، معاصر للبوهميين. وفي القرن الثالث: أبو حاتم السجستاني، وابن السكيت، وابن قتيبة الدينوري، وأبو حنيفة الدينوري النحوي والحكيم والرياضي والمؤرخ، وأبو بكر بن الخياط السمرقندي وغيرهم. وفي القرن الرابع: السيرافي، وأبو بكر الخوارزمي، والطبرستاني، والجوهرري، والصاحب بن عباد [المتوفى ٣٨٥هـ]. وفي القرن الخامس: عبد القاهر الجرجاني [المتوفى سنة ٤٧١ أو ٤٧٤هـ] اللغوي والبلاغي المعروف، وابن خالويه الهمداني، وأبو مسلم الأصفهاني، ومن البلاغيين، أيضاً، الزمخشري والسكاكي والتفتازاني والنسائي الخ... ويذكر ابن النديم في الفهرست أسماء جمع من المؤرخين الأوائل من الموالي، يصرح عن بعضهم أنه إيراني، وقس على ذلك الذين ذكرهم المؤرخون من علماء الكلام... ومن الإيرانيين الذين رقدوا الحضارة الإسلامية بالمؤلفات التي لا تزال شاخصة في تراثنا: الثعالبي؛ المحقق التفتازاني، النيسابوريان؛ القاضي البيضاوي؛ أحمد بن مسكويه؛ ابن فارس...

ومن العلماء الإيرانيين الذين رقدوا الحضارة الإسلامية- العربية اللغية، بما جعلها في يوم من الأيام أم الحضارة الإنسانية قاطبةً نذكر على سبيل المثال لا الحصر أبو بكر محمد بن زكريا الرازي؛ الخوارزمي؛ البتاني؛ البوزجاني؛ البيروني؛ ابن سينا؛ أبو عبيد الجوزجاني الخيام؛ وأبو حامد محمد الغزالي الطوسي...

بانتظار مقالة أو بحثٍ عن منطقة أو مدينة أو قرية كان لها ولأبنائها دورٌ في التلاقح الثقافي بين العرب والإيرانيين... لنشرها في العدد الثامن بعد المئة في هذه المجلة...